أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة

د. هنية مفتاح أحمد القماطي(*)

مقدمة

لقد أصبح الحوار الحضاري يحتل مكان الصدارة في اهتمامات الباحثين والمفكرين والسياسيين، ومن المؤكد أن بروز ظاهرة العولمة بأبعادها المختلفة، وما نتج عنها من انقلاب في أحوال المجتمعات المعاصرة، وبشكل خاص مجتمعات الجنوب، هي التي فتحت الطريق لضرورة قيام حوار بين الحضارات.

ولعل فكرة الحوار الثقافي والحضاري التي نشأت في البلدان العربية، وبلدان العالم أجمع، كانت بمثابة رد فعل علي مقولة (**صدام الحضارات**) التي نشرها ودافع عنها الكاتب الأمريكي «**صموئيل هنتنجتون**» والتي بدأ بالترويج لها بعد انهيار المعسكر الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالزعامة وقيادة العالم.

لقد كان البديل المنطقي للرد علي نظرية «صدام الحضارات» فكرة الحوارالحضاري فالحضارات تتحاور وتتفاعل ولا تتصادم، وأصبحت الحاجة ضرورية لبناء جسور التفاهم والتسامح والتعايش، ومحاولة البحث عن حلول للإشكاليات التي تعترض سبل الحوار، كل ذلك يجنبنا ويلات الصراع والحروب التي تنذر بها نظرية «هنتنجتون».

وتتناول هذه الورقة أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، وتطرح مدي إمكانية

(*) جامعة قار يونس ـ كلية الآداب ـ قسم علم التفسير ـ بنغازي ـ ليبيا.

التحاور بين الحضارات، ومدي صدق مقولة «صدام الحضارات»، فهل الحضارات تتصادم وتتصارع أم تتحاور وتتعايش وتتلاقي؟ وماموقفنا نحن بوصفنا عربا ومسلمين من هذا كله؟ وهل هناك أسس وشروط تعد بمثابة مرجعية للحوار؟ وماهي إشكاليات الحوار والتعايش الثقافي في عصر العولمة؟ وماهي آلياته؟ وهل الصراع الحضاري حتمي كما يري «هنتنجتون» أم أن الحوار الحضاري هو الطريق نحو نظام عالمي جديد تسوده المحبة والسلام والتسامح؟.

سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال عرض جملة من العناصر تتمثل في الآتي:

1- أسس الحوار الحضاري

ما هي الأسس أو الشروط التي يجب أن يقوم عليها الحوار مع الآخر؟ وهل نحن عربا ومسلمين مؤهلون للتحاور مع الآخر؟ سؤالان يرتبط أحدهما بالآخر، فإجابة السؤال الأول تتطلب الإجابة عن السؤال الثاني أي ضرورة مراجعة أنفسنا والتحاور مع الذات قبل التحاور مع الآخر، إذ لايمكن بناء أسس للحوار مع الآخر أو إرساء قاعدة مرجعية للحوار معه ونحن نفتقر لأسس الحوار مع أنفسنا، فيجب إذن أن نبدأ بأنفسنا أولًا.

إن من أهم أسس الحوار «النقد الذاتي»، فداؤنا في نفوسنا وذواتنا، وسنبقي مهمشين، مفعول فينا، وبعيدين عن متطلبات المشاركة والمساهمة الإيجابية في أحداث العالم مالم نغير ذواتنا ونراجع أنفسنا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

ولإقامة حوار علينا أولًا أن نراجع أنفسنا ونأخذ بعين الإعتبار أبعاد اختلافاتنا ومصاعبنا التي تخصنا، وأن نترك جانبا خلافاتنا وصراعاتنا الإقليمية، وهذه هي الخطوة الأولي نحو قبول الآخرين واختلافاتهم.[1]

إن الهروب من التفاعل الإيجابي النقدي لتحديات عصر العولمة هو أحد أخطر مايواجه

(1) ميشلين كوستور، الحوار بين الأديان (مداخلة)، المؤتمر الدولي الثالث «حوار أفريقيا البحر المتوسط أوروبا في ظل العولمة». المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 2006 ص 146.

ثقافتنا العربية اليوم بالذات، ومجتمعنا العربي بوجه عام، فليس أمامنا من سبيل آخر لإثبات وجودنا وفاعليتنا إلا بالمواجهة الناقدة للذات، والإنطلاق الإيجابي، والمتحرر من سيطرة الماضي الي المستقبل الذي يتطلب منا مواجهة تحديات لامحيد عن التعامل معها، وهذا يتطلب الاهتمام بالسياسات التربوية العربية وترسيخ مختلف عناصر التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة موضوعية، بمعني أن تتسامح الطوائف والمذاهب وأن تعرف بعضها بعضا وأن يكونوا بمنأى عن التكفير والتفسيق بين الفرق والمذاهب[1].

تتأسس نقطة البدء في الحوار علي تربية العربي المسلم علي تقبل العربي المسلم الآخر، وذلك بأن يتغلب التيار العقلاني في العالم العربي علي التيار المتطرف والمخطئ في فهمه لرسالة الإسلام السمحة الداعية إلي ضرورة إعمال العقل والتأكيد علي القيم الأخلاقية السامية، والابتعاد عن التعصب والجمود، فليس أمامنا إلا العودة إلي الذات لتكون بداية وأداة للتغيير نحو الأفضل والأقوم، والقبول بالمعطيات الحضارية الإنسانية المختلفة، وهنا يظهر دور التنوير الثقافي العام في إبراز هذه المعطيات التي صبت في كيان الحضارة العربية الإسلامية سواء من حضارات الشرق الأدني أو الشرق الأقصي، أو من الحضارة اليونانية[2]. فليس أمامنا إذن إلا «العودة إلي الذات واستلهامها، والاستمساك بكل قيمنا الأصيلة وبديننا الحنيف وبكل ما يدعو إليه من قوة وترابط وتراحم وحب وتعاون وإعمال فكر وإبداع، العودة إلي الإمساك بعناصر حضارتنا الإيجابية التي افتقدناها في غمرة التباهي بالفرنجة والتغريب»[3] وإذا ما استطعنا أن نؤسس لحوار ذاتي، عندها سنكون مؤهلين للتحاور مع الآخر، فديننا الإسلامي يحض علي الحوار والتفاهم والتعارف والتعايش السلمي ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: 125].

(1) مسعود ظاهر، العرب والغرب، تاريخ العلاقات المشوهة، مجلة العربي، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة بدولة الكويت، العدد (218-2002) ص 149.

(2) المرجع السابق، ص 149.

(3) مصطفي النشار، ضد العولمة، ط2، (دار قبا للطباعة والنشر، 2001) ص 218.

فالحوار في الأصل هو من أجل فهم الذات أولًا، ثم فهم الآخر والتفاعل معه وليس لخوض صراع معه. إنه حوار يستند إلي أسس أو شروط من أهمها:

أ- لغة الحوار:

إن الوضوح في الحوار شرط أساس لبلوغ الغاية والهدف، والوضوح المقصود هنا هو وضوح المصطلحات والمفاهيم المتداولة بين الأطراف المتحاورة . فما هي لغة الحوار الحضاري تحديدا مع الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية؟ فالغرب يتعامل معنا بلغة القوة ولا يستمع إلينا إلا علي سبيل المناورة، والخداع وكسب الوقت لصالحه، ومن هنا فإن تحديد المصطلحات شرط أساس لقيام الحوار، لأن غموض المصطلحات والمفاهيم من أهم معوقات الحوار، وبما أن الحوار هو طريق الحضارة ويقوم علي الاعتراف بالآخر فإن لغة «الخطاب الغربي تجاه الوطن العربي، لابد أن تبدأ بمسلمة هي خصوصية الواقع العربي، فالمنطقة العربية لها خصوصيتها إستراتيجيًا (موقع، نفط، ثروات طبيعية وبشرية) كما أن لها خصوصيتها القومية (شعب واحد بلغة وتاريخ ودين واحد) والحضارة الإسلامية لم ترفض مطلقًا في أي مرحلة من مراحل التاريخ التعامل مع الآخر أو التفاعل معه، وكل حضارة عجزت عن التأثير أو التأثر عجزت عن النمو وجمدت وتخلفت، فإن تأكيد الهوية الحضارية يكون بالإيجاب وليس بالسلب، وبتجديد شباب الحضارة العربية الإسلامية واسترداد القدرة علي التفوق العلمي وإضافة مزيد من الإبداع والتطور الاقتصادي والاجتماعي، أما رفض الغرب كلية فهو انحطاط وتحد فاشل وعزلة بغيظة»[1].

نحن إذن أمام قاعدة أساس من أجل الوصول بالحوار إلي مبتغاه، أي ضرورة الاتفاق علي تحديد المصطلحات والمفاهيم، وبالتأكيد نحن لانطلب التطابق المطلق لكل المفاهيم والمصطلحات لأنه يظل في النهاية وجود خصوصيات يجب احترامها من كل الأطراف، ولكن الذي لا نقبله هو سياسة الطرف الآخر ـ الغرب وأمريكا ـ في توجيه مسار التفاعل الحضاري،

(1) ثناء فؤاد، إشكاليات التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية، مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية (167-1993) ص 47.

خاصة الآن في عصر العولمة، من خلال محاولات التهديد، والاستعلاء، والتهميش، والتحقير، وهي لغة الحوار في العالم الجديد .

ولتجاوز أزمة الحوار يجب أن تكون مفردات الخطاب ولغته واضحة غير موجهة إلي أمة أو دين كما يحدث الآن، حيث يوجه الخطاب الأمريكي الأوروبي ضد الإسلام ومبادئه بصورة علنية، ويخص الإسلام بالإرهاب .

ب- التنوع الثقافي:

لا حياة لثقافات متطابقة، فالتمايز الثقافي أساس التفاعل والتعايش بين الأمم والشعوب، وشرط للتفاعل الثقافي، فالتفاعل لا يلغي التمايز، ولا يمكن للمرء أن ينكر وجود قواسم مشتركة بين الحضارات، فالاختلاف «الثقافي هو الذي يعمق الرؤي الحضارية الذاتية ويؤسس لقيم الحوار مع الآخر والتفاعل معه»[1].

إن الحوار وسيلة حضارية متقدمة، هدفه الالتقاء والتعايش مع احترام الخصوصيات، ولم يكن هدفه القضاء علي نقاط الاختلاف، أو التطابق المطلق «فلا وحدة للعالم إلا باختلاف الهويات والتنوع، ولاتنوع إلا بوحدة العالم»[2] فلا يمكن للثقافات أن تتوحد وتنصهر في هوية واحدة أو ثقافة واحدة «فلا أصالة إلا بجوهر الاختلاف الثقافي، كما أن المعاصرة لاتتحق في السياق التاريخي والاجتماعي إلا بالتحرر من وهم المطابقة»[3].

ونجد بشهادة التاريخ الحضاري أن التنوع الثقافي كان سببًا في ازدهار الحضارة الإنسانية، والأمثلة علي ذلك كثيرة سواء بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية، أو بالنسبة للحضارة الأوروبية القديمة والحديثة منها، حيث تفاعلت الحضارة العربية الإسلامية مع الحضارات اليونانية، والهندية، والفارسية، ونتج عن هذا التفاعل مزيج شكل جوهر الحضارة العربية الإسلامية، وكذلك تفاعلت الحضارة اليونانية (الغربية) مع حضارات الشرق القديم، وكذلك

(1) محمد محفوظ، الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي، 1999، ص 20.

(2) محمود أمين العالم، صراع حضارات أم تعدد ثقافات، مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (238-1998) ص 79-80.

(3) محمد محفوظ، الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، (م . س) ص 20.

الحال مع الحضارة الأوروبية الحديثة التي تفاعلت مع الشرق ونهلت من منابع العلم والمعرفة فيه، فكانت لها حضارتها التي تمتلك خصوصية متأثرة بالبيئة التي وجدت فيها، فهذا النوع من التفاعل الحضاري الذي «اتخذ موقفا وسطًا بين موقفين متطرفين أي الانطلاق أو الذوبان والتبعية»[1] يعبر عن أهمية التنوع والاختلاف الثقافي بين الأمم ويؤكد أن التنوع الثقافي لم ولن يكون سببا للنزاع والتصادم بين الدول، ولكن يمكن «استخدامه» لتأجيج «نزاع محتوم لأسباب ثقافية، بل اقتصادية في معظم الأحيان»[2] وهذا ماتقوم به الإمبريالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لتجعل من التنوع الثقافي أداة تعيق مصالحها وتعتبره عقبة في طريق العولمة.

ج- التواصل:

إن جوهر العلاقة بين الحضارات ينبع من واقع الصيرورة التاريخية، حيث ازدهرت الحضارات الإنسانية ونمت وتطورت بفعل التواصل والانفتاح الكامن في قدرة الثقافة علي التعامل والتفاعل مع الثقافات الأخري في مسيرة الأخذ والعطاء، ولم يشهد التاريخ الاجتماعي للبشرية أن «حضارة من الحضارات القومية نمت وازدهرت دون أن تتصل بمن حولها من حضارات الأمم الأخري، بل يعطيناهذا التاريخ أن أصالة الحضارة، أو الثقافة تكمن في قدرتها علي الانفتاح، والتفتح في جو الإنسانية، وما أنجزته علي مر العصور، وكل صيرورة لهذه الثقافة ستفيد مما سبقتها، حتي تحقق الصيرورة الثقافية الجديدة، وتقدم إضافتها المبدعة، وعالميتها كذلك»[3]. فالهوية الثقافية لاتتحقق بالعزلة والتقوقع داخل الذات، ولا تطمس ولا تندثر إذا استفادت مما يحيط بها «فنحن نفقد شخصيتنا عندما نتحول إلي تابعين للآخرين ... نفقدها عندما نستهلك ولاننتج، عندما نقلد ولا نجدد، عندما نتلقي ولا نعدل أو نضيف أو نطور»[4].

(1) ثناء فؤاد، إشكاليات التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية (م. س) ص 39.

(2) مسعود ظاهر، العرب والغرب، تاريخ العلاقات المشوهة (م. س) ص 144.

(3) فايز عز الدين، العروبة بين الثقافة والغزو الثقافي في العصر العولمي الراهن، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد (471-2002) ص 134.

(4) معن زيادة، معالم علي طريق تحديث الفكر العربي، مجلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، العدد (115-1987) ص 58.

وهكذا فإن الاعتراف بقدرة الثقافة ـ أي ثقافة ـ علي التأثر والتأثير يعد شرطًا أساسًا لإقامة الحوار، فالقول بأن هناك ثقافة مركزية، أو ثقافة قوية، وأخري ضعيفة قول متهالك يتبناه المناصرون لثقافة العولمة، وليس للثقافة العالمية، فثقافة العولمة تعني تعميم الثقافة الأمريكية علي العالم، وهي بهذا الشكل نفي للآخر، وسلبه خصوصيته، أما الثقافة العالمية: فهي الارتفاع بالخصوصية إلي مستوي عالمي، فالعالمية هي الأخذ والعطاء، والحوار مع الآخر بوصفه أنا (ثانية)[1].فهناك ماهو مشترك إنساني عام، وهناك مايعد خصوصية حضارية، فيجب أن نؤسس لحوار قائم علي التواصل المستمر، لأن الانعزال والتقوقع والانغلاق علي الذات من أبرز عوائق الحوار خاصة ونحن في عصر العولمة، وفي المقابل فإن الاستعلاء الثقافي يشكل حاجزا أمام عملية الحوار.

د- التكافؤ الحضاري:

إن الهدف الأسمى هو التعايش والتعارف وعدم استعلاء أمة علي أمة أخرى، أو طائفة علي طائفة أخري، والحوار مع الآخر لايعني التطابق معه ـ كما أشرنا سابقًا ـ وإنما يعني استيعاب مستويات الخلاف واحترام التنوع، حتي يتاح للجميع التواصل والحوار وبناء الثقة ومن ثم التطور.

هناك شرط آخر من شروط الحوار هو الندية أو التكافؤ، ويعني تساوي الأطراف من حيث الاعتبار بحيث تسقط سائر الصفات والألقاب بين المتحاورين، ويجب أن يتراجع الغرب عن كرهه الشديد والمتأصل للإسلام، وأن يعترف بالإرث الحضاري العربي الإسلامي ومدى تغذيته للحضارة الأوروبية، فالغرب ينظر إلي الشرق علي أنه متخلف وبربري ولايصلح إلا للرق والعبودية عاجز حتي عن قيادة نفسه.[2] فالحوار يتطلب أن يكون الجميع متكافئين في الإنسانية أينما كانوا، وليس هناك إنسان من الدرجة الأولي، وآخر من الدرجة الثانية، بل لابد من احترام الجميع[3].

(1) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (228-1998) ص 17.

(2) مصطفي النشار، ضد العولمة (م. س) ص 214.

(3) زهيرعبد الهادي الحميد، مشروع ثقافة حوارالحضارات وتعايشها في المواجهة مع الصيهونية (مؤتمر القدس السنوي الثالث في الفترة 27-2005/10/28م، ص 29.

إن الحقيقة موضوعية وليست ذاتية، ويجب أن لايفرض أحد الأطراف رؤيته علي الآخر، فما يريده الآخر ـ أمريكا وأوروبا ـ هو تغيير خطابنا الديني ونظم تعلمينا وثقافتنا لتتمشي مع متطلباته، وأن نستغني عن استقلالنا ونظل تابعين، وأن نقبل العولمة الأمريكية الصهيونية، في شتي مجالاتها. وهنا يكمن الخلل، إذ لن يكون الحوار جوارًا بل إملاءات من الطرف الأقوي للطرف الأضعف. فالآخر «لايقبل الحوار إلا مع نفسه، والهدف هو إذلال الآخرين ومحو حضارتهم وكياناتهم و الإستيلاء علي ثرواتهم، وإفقادهم الثقة في أنفسهم»[1].

إن إدعاء أحد الطرفين أو كلاهما بأنه يمتلك الحقيقة يشكل عقبة في طريق الحوار، كما يستوجب وجود مرجعية للحوار تستند إلى ضرورة احترام ماتعتنقه أطراف الحوار من أفكار، ومعتقدات مما يسهل عملية الحوار ويذلل العقبات. وفي العصر الراهن أصبحنا نشعر أنه «مطلوب منا أن نستسلم ونتخلي عن كل ماعندنا من ثوابت حضارية لنفسح المجال للغير، بدليل أننا نلمس الآن رغبة لدي الآخر في الحديث عن تجديد الخطاب الديني والسياسي، لكننا لانري لديهم في المقابل أي توجه نحو العدالة أو القيم»[2].

إن حياة الأمم والشعوب لا تقاس بمدي استسلامها للأمر الواقع والتخلي عن قيمها ومبادئها، بل تقاس بمدي قدرتها علي مقاومة الثقافة الغازية وتمسكها بأصولها الثقافية، وبجوهر ثقافتها، ولايعني ذلك انعزالها أو رفضها للعصر وعلومه، وإنما يجب مراعاة الإطار الثقافي للمجتمع بقدر مراعاة الحاجات والتطورات «فالفاعلية الثقافية الحقيقية لاينبغي أن تقتصر علي مجرد ردود الأفعال ومحاولة الدفاع عن ثقافتنا في مواجهة الآخر، بل من الضروري بناء الثقة في النفس ومخاطبة الآخر خطاب الند للند ولدينا من الرصيد التاريخي والثراء المعرفي والنظرة الكونية والأخلاقية الشاملة مايمكننا بالفعل من أن نكون مشاركين في الحوار الحضاري العالمي بشكل إيجابي»[3].

(1) مصطفي النشار، ضد العولمة (م. س) ص 218.
(2) تحرير: نادية محمود مصطفي، مسارات وخبرات في حوار الحضارات، برنامج حوار الحضارات كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2004م، ص 29.
(3) مصطفي النشار، ضد العولمة (م. س) ص 299.

إن قيام الحوار بين الحضارات يشترط مقدما أن يكون الجميع علي اقتناع تام بمبدأ التكافؤ الحضاري، فلا أفضلية لحضارة علي حضارة أخري، فكل حضارة لديها بالفعل ماتعطيه للحضارات الأخري، من قيم وآداب، وفنون وعلوم، وأنه إذا ما امتاز شعب حضارة معينة بميزة نتيجة لظروف بيئية أو تاريخية معينة، فإن شعوب الحضارات الأخري لديها مميزات أخري نتيجة لظروف بيئية أو تاريخية مختلفة، كما أن الثروات الطبيعية التي يتمتع بها أبناء الحضارات والشعوب المختلفة يمكن استغلالها والاستفادة منها في خدمة البشرية كلها، إذا ما خلصت النوايا وسادت المساواة والتسامح والعدالة الحقة في نظرة الجميع للجميع[1].

إشكاليات الحوار الحضاري في عصر العولمة

هناك من يري استحالة قيام حوار حضاري وفق المعطيات الموجودة الآن في عصرنا الراهن، ولكن سأكون متفائلة بعض الشئ وأقول إن حوار الحضارات خاصة في عصر العولمة ـ ممكن وخاصة كفكرة تسعي للحلول السلمية في عالم القوة والتكتلات الدولية والمصالح الاقتصادية، ولكنه من الناحية الفعلية مازال أمام حوار الحضارات طريق طويل وشاق تتوسطه الكثير من العقبات التي يجب تخطيها، فهناك فارق كبير بين النظرية (أي حديثنا عن حوار الحضارات من الناحية الفكرية) وبين التطبيق الفعلي الواقعي (أي ممارسة الحوار) والالتزام بشروطه والاستناد إلي مرجعيات متفق عليها بين الأطراف المتحاورة.

ليس الحوار بين المسلمين والغرب في عصرنا الحالي حوارًا تفاعليًا يسمح بأن يؤثر كل طرف في الآخر مع احترام ثوابته وإعلاء قيمة وأهدافه، وربما يصاحب الطرف الغربي خاصة السياسي منه درجة من إلقاء اللوم في مجمله علي أخطاء المسلمين التي هي في النهاية سبب الأزمات المتتالية بين الحضارة الغربية والإسلامية[2]. حيث كانت أحداث 11 سبتمبر ذريعة لتوكيد نظرية «هنتنجتون» في «صدام الحضارات» وسببًا لاتهام العرب والمسلمين

(1) المرجع السابق، ص 213.

(2) تحرير: نادية محمود مصطفي، مسارات وخبرات في حوار الحضارات (م. س، ص 50.

بالإرهاب، وأعطي القوة العظمي المبرر لاستخدام القوة ضد العرب والإسلام بحجة مقاومة الإرهاب.

هناك إشكالية أخرى وهي البحث عن صيغة فكرية يمكننا من خلالها استيعاب ثقافة عصر العولمة بوسائط التقنية المتعددة، وهي التي تمثل ثقافة الآخر، وإمكانية الحفاظ علي خصوصيّتنا الثقافية العربية الأصيلة، وهذه قد تكون إشكالية رئيسة في الحوار مع الآخر «فالقضية المطروحة حاليًا هي منطق التعامل مع الآخر، ومنطقه في التفاعل معنا، ذلك أن مسلك هذا التعامل أو منطقه يحدد وفقًا لظروف اللحظة التاريخية التي يجري في ظلها .... ولاريب أن اللحظة التاريخية الحالية غير مسبوقة في التاريخ بسبب ماتحفل به من متغيرات جذرية أدت إلي خلخلة الأسس والمفاهيم المستقرة في أذهاننا من عقود عدة، ومضمون هذه التغيرات يشمل ما يطلق عليه الثورة الكونية وتطبيقاتها في المجالات العلمية، والثقافية والسياسية والعلمية»[1].

كما أن من إشكاليات الحوار الأخذ بالنموذج الغربي الجاهز، وذلك بتعميم حضارة المعلوماتية واتخاذها أداة للتغيير الذي يفرض من الخارج، وتفرض نفسها كحضارة عالمية، ما يؤدي إلي التفكك وتحلل النسيج الاجتماعي، ويعوق عملية التطوير والبناء الذاتي لأنها تعيد تشكيل الواقع الاجتماعي والفكري لدي هذه الشعوب علي شاكلتها، حيث ارتبطت الثقافة بالهيمنة والتسلط، ذلك أن تعميم «الحضارة الحديثة شكل تعميم مشاعر الإحباط والحرمان في كل المناطق الجديدة. وبقدر ماأصبح الفصل بين الثقافة الغربية والحضارة الراهنة صعبًا، ارتبطت الثقافة بالهيمنة والسلطة والعنف، وأصبحت تثير ردود أفعال معادية في أكبر مناطق العالم غير الغربي، ولعل هذا ما زاد في صعوبة الربط بين الثقافات المهمشة، مصدر المقاومة والمعارضة منذ الآن، والحضارة الحديثة، وجعل الحوار مستحيلًا بين الشعوب الشمالية والجنوبية»[2].

نحن لا ندعو إلي رفض العلم والتقنية وماتقدمه المعلوماتية من فوائد للبشرية، وإنما ندعو

(1) ثناءفؤاد، إشكالية التفاعل والحوارالحضاري بين العرب والحضارة الغربية (م. س)، ص 138.
(2) برهان غليون، إغتيال العقل، ط 3، مكتبة مدبولي، 1990، ص 132-133).

إلي ضرورة التمييز بين إجراءات العولمة، وقيم العولمة، فبعض إجراءات العولمة غير قابلة للارتداد، مثل الاتصال الكوني عبر شبكة المعلومات العالمية[1] أما قيم العولمة فيجب النظر فيها لأنها تكرس الاستغلال الاقتصادي والتسلط السياسي، والاختراق الثقافي، وذلك أن الاستراتجية التي تقوم عليها العولمة تقفز علي ماهو محلي غير مبالية بالخصوصيات، متجاوزة كل ماهو أخلاقي، فهذه إشكالية تعوق الحوار. فهل بإمكاننا وسط هذه الثورة الهائلة من التغييرات التي تجتاح العالم شرقًا وغرباً أن نستخدم منطق التفاعل أو الحوار الحضاري، كما كان في الماضي؟ ذلك المنطق الذي سمح باستمرار الوجود مع وجود التمايز، كما كان يسمح بأخذ المفيد والمقبول وطرح المرفوض[2].

أما الإشكالية الأخيرة ـ في نظرنا ـ فتتمثل في الشروط المحددة مسبقًا من الغرب الأوروبي لقبول العربي المسلم، «وأولها أن يؤمنوا ويتصرفوا علي أساس أنهم ليسوا أمة واحدة ولاكتلة ولا جماعة، بل أقوامًا وأقليات متناحرة ومتناقضة، وثانيها الإقرار للغرب بحق السيطرة علي النفط العربي كمية وسعرًا، وثالثها الاعتراف بإسرائيل والتسليم لها بكل فلسطين، والتفوق الاستراتيجي علي قوي العرب مجتمعين، ورابعها التخلص من الإسلام واعتباره دينًا متخلفا وداعيا للعنف والإرهاب»[3].

هذه في مجملها إشكاليات رئيسة تعوق عملية الحوار الحضاري في عصرنا الراهن، ولا يمكن تجاوز هذه الإشكاليات إلا باتباع آلية للحوار مع الآخر، فكيف يمكن لنا أن نتجاهل اعتبارات الخصوصية الثقافية والحضارية وفي إطار متغيرات العصر؟

والإجابة عن هذا السؤال ـ في نظرنا ـ تكون بالآتي:

أولًا: المراجعة النقدية المنهجية الشاملة لكل الموروث الثقافي:

فلا يمكن تحقيق تطلعات الأمة العربية الإسلامية في الرقي الحضاري إلا بالمراجعة النقدية

(1) السيد ياسين، المعلوماتية وحضارة الأمة، دار نهضة مصر، 2001م، ص 94.

(2) ثناء فؤاد، إشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية (م. س)، ص 39.

(3) المرجع السابق، ص 57، نقلًا عن نشرة منتدى الفكر العربي، المجلد 7، العدد 79، أبريل 1992.

والمنهجية الشاملة لكل الموروث الثقافي وتبني ماهو مفيد ومواكب لروح العصر ومن ثم تطويره، وترك مايعوق مسيرتنا الثقافية والحضارية، فالتغيير الثقافي يعد «بداية الإنطلاقة الحضارية ولايتم هذا التغيير إلا بعملية تجديدية تتجه إلي إنهاء كل عوامل الجمود في حياتنا الثقافية، وتؤسس لحياة ثقافية جديدة ترتكز علي الأصيل من قيمنا، وإبداع إنساننا في هذا الحقل الهام لعملية البعث الحضاري»[1] خاصة وأن عصر العولمة يحاصرنا من كل جانب، ولا سبيل إلي مواجهة هذه التحديات إلا بإعمال العقل ومراجعة ماضينا الحضاري، والبعد عن التعصب والتحجر والجمود، «فالإغراق في الماضي يعمي عن تحديات الراهن، ويشكل بشكل أو بآخر وسيلة للهروب من مواجهة العصر وقضاياه . فالمطلوب، إذن، من أجل حيوية وفعالية علاقتنا بماضينا وحضارات عصرنا وتحديات راهننا، أن نقوم بنقد الجمود، جذوره ومنابعه، والانعتاق من إساره وحبائله، لأن سيادة عقلية التقليد الأعمي والجمود والحرفية في المنهج والتفكير، لايؤديان إلا إلى الذوبان في الماضي وقضاياه والهروب من الحاضر وتحدياته»[2].

وحديثنا عن الموروث الثقافي والمراجعة التاريخية لماضينا الحضاري لايعني دعوة إلي الانفصال أو القطيعة لماضينا، فلا حاضر لأمة منقطعة الصلة بماضيها، ولايمكن لأمة أن تعيش بلا تاريخ، و بلا ماض، ولكن الأمم الحية هي التي تستطيع أن ترسم لنفسها طريق التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل في ضوء معطيات العصر الذي تعيشه، وذلك بأن تحدد منهجية واضحة وفعالة في علاقاتها بماضيها «بحيث يكون ماضيها وتاريخها وسيلة للنهوض المعاصر، لاوسيلة للهروب والانزواء بعيدا عن الواقع، فالمهمة الكبرى الملقاة علي عاتق الجميع، هي نقد الجمود بقوالبه الفكرية، وآليات تأثيره المجتمعي لأنه بوابة العبور إلي علاقة حسنة وإيجابية مع الماضي وحضارات العصر»[3] الذي نعيشه، عصر العولمة، والذي يهدف إلي أن نكون تابعين منقادين مهمشين تستوعبنا تقنيات العصر ولا نستوعبها، فغياب الروح العلمية والمنهجية يوقعنا في الاستخدام الخاطئ والاعتباطي للمصطلحات والمفاهيم التي تسوقها ثقافة العولمة

(1) محمد محفوظ، الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل (م. س)، ص88.
(2) المرجع السابق ص، 171.
(3) المرجع السابق ص، 171.

«فاستيعاب المعاني الجديدة وتوطينها لا يمكن إلا في إطار توسيع قاعدة البحث العلمي ونشوء علوم وإشكاليات مستقاة من الواقع القائم، ومستجيبة لما يطرحه من مشكلات»[1].

ثانيًا: الهيئات والمؤسسات والمنظمات الثقافية العربية:

وهي تعد بمثابة آلية تنظم الحوار مع مؤسسات وهيئات ثقافية مناظرة غربية أوروبية قادرة عن التعبير بوضوح في لغة واضحة، وتتعامل معها وفق منهج ومبدأ تعاطي الفكر بحرية دون إرهاب، أو قهر بقوة السلاح، ومهمة هذه الهيئات والمنظمات ـ في نظرنا هي تهذيب الاختلاف والحيلولة دون تحوله إلي خلاف يؤدي إلي النزاع والتصادم ومن ثم إلي الحروب، ومهمتها أيضًا إثبات أن التنوع ليس تهديدًا، وإنما هو خطوة نحو التطور والتحسن، فهناك مشترك إنساني عام هو ما يجب التركيز عليه في حوار الحضارات من خلال التواصل الدائم وبمختلف الآليات لمعرفة كيفية تفعيل ذلك مع الحفاظ علي خصوصيات المجتمعات الإنسانية.

حوار الحضارات وليس تصادمها هو السبيل إلي نظام عالمي جديد

لقد كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ذريعة ومبررًا لنظرية «صدام الحضارات» التي ارتكزت علي محاور رئيسة ثلاثة:

1. الصراع بين الهويات الثقافية والحضارية.
2. الاختلاف في القيـم السياسيـة.
3. الاختلاف في المعتقدات الدينية.

تشير أطروحة «صدام الحضارات» إلي أن عالم ما بعد الحرب الباردة متعدد الأقطاب، يفتقر إلي تقسيم واحد ومحدد، كالذي كان أثناء الحرب الباردة، حيث صنف العلاقة بين العرب والحضارات الأخرى علي النحو التالي[2]:

(1) برهان غليون، إغتيال العقل (م. س)، ص 137.

(2) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، ترجمة، مالك عبيد أبو شهيوة، ومحمود محمد خلف، ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1999، ص 33.

1- الحضارة العربية الإسلامية، و الحضارة الصينية (حضارات متحدية)، واعتبرها العدو الأول، ومن المتوقع أن يكون للغرب علاقات صراعية معها.

2-حضارة أمريكا اللاتينية، والحضارة الأفريقية (حضارات ضعفية ومعتمدة علي الغرب).

3- الحضارة الروسية، والحضارة اليابانية، والحضارة الهندوسية (حضارات متأرجحة بين مساندتها للغرب أحيانًا، وأحيانًا للحضاريتين الإسلامية والصينية). لقد رشح هنتنجون أن يكون «العالم الإسلامي قطبا ثانيا في مواجهة القطب الأوحد الذي تتربع أمريكا علي عرشه وتستخدم الأحلاف العسكرية والمنظمات الدولية لتنفيذ أغراضه»[1].

وبشكل عام فإن ما يحكم العلاقات بين هذه الحضارات هو الصدام بين الهويات الحضارية، فهو لا يري في إنهاء الحرب الباردة نهاية للتعدد والانقسام. فالانسجام والتفاعل في نظره وهم، حيث أصبح التعدد وتأصيله في الكون أكثر حقيقية وأكثر واقعية من ذي قبل، وأصبحت الحاجة إلي الذات والهوية حاجة وجودية.

تتحدث أطروحة «صدام الحضارات»، عن المستقبل وتنذر بخطر تصادم الهويات الحضارية، وزعم أن هذا التصادم حتمي وبشكل خاص بين الإسلام والغرب. فالإسلام الحضارة التي وضعت استمرار الغرب في شك، ولقد فعلت ذلك مرتين علي الأقل.[2]

تفترض نظرية «صدام الحضارات» حتمية الصراع بين الهويات الحضارية واستبعدت التفاعل الحضاري مستندة في زعمها إلي وجود عوامل مختلفة مشابهة زادت من الصراع بين الإسلام والغرب في القرن العشرين تتلخص في الآتي:[3]

1- النمو السكاني للمسلمين خلق بطالة لعدد كبير، و هؤلاء الساخطون معظمهم من الشباب.

(1) حسن حنفي، **الغرب وأزمة البحث عن عدو؟** مجلة العربي تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت العدد (518-2002)، ص138.

(2) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، (م. س) ص 371.

(3) المرجع السابق، ص 373-374 .

2- الإحياء الإسلامي أعطي للمسلمين إعادة الثقة في أهمية حضارتهم وقيمهم مقارنة بتلك التي في الغرب.

3- جهود الغرب في جعل قيمهم ومؤسساتهم عالمية، والمحافظة علي تفوقهم العسكري والتدخل في صراعات العالم الإسلامي.

4- انهيار الشيوعية العدو المشترك للغرب وللإسلام ترك كل واحد يري الآخر مصدر تهديد له.

5- الاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين ولّد في كل واحد منهما شعورًا جديدًا بهويتهم، ومدى اختلافها عن الآخر.

وفي حقيقة الأمر فإن انتهاء الحرب الباردة بانهيار المعسكر الشيوعي أسهم بشكل كبير في إعادة جدولة العالم من جديد، واختفاء الشيوعية كعدو ترك فراغا شاغرا، فكان الإسلام الذي ناصبته أمريكا العداء وأطلق عليه «الخطر الأخضر» القادم، ليحل محل الخطر الأحمر (الشيوعية)، فالدين هو «القوة الرئيسة التي تحرك وتعبئ الشعوب، وإنه من الغرور الصرف أن نعتقد أن الغرب قد فاز بالعالم كل الوقت بسبب سقوط الشيوعية السوفيتية، وأن المسلمين، والصينيين، والهنود، وغيرهم سيهرعون لاحتضان الليبرالية الغربية علي أنها الخيار الوحيد . إن انقسام الإنسانية في الحرب البادرة قد انتهي. وإن الانقسامات الأكثر جوهرية للإنسانية في شكل العرقية، الأديان، والحضارات تبقي وتولد صرا عات جديدة»[1].

إن فكرة «صدام الحضارات» في مجملها تدور حول محور رئيس واحد وهو إقرار حقيقية مستقبلية يقدمها وكأنها حتمية، وهي ما عبر عنه «بالحرب الباردة الحضارية بين الغرب والإسلام، والتي يصبح من خلالها الإسلام العدو والخطر الذي يوجب علي الغرب الاستعداد لمواجهته»[2].

ليس من أهداف هذه الورقة التوسع في تحليل نظرية صدام الحضارات، والخوض في

(1) المرجع السابق، ص ص 144.

(2) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي المعاصر، ط1، مركز درايات الوحدة العربية (بيروت) 1997، ص 91.

منطلقاتها وأهدافها، فما يعنينا في هذه الورقة هو بيان المتناقضات التي احتوتها هذه النظرية، ومن ثم بيان زيف تحليلها للواقع، وهشاشة منطلقاتها ومبرراتها اللامقنعة. حيث تنطوي نظرية «صدام الحضارات» علي مجموعة متناقضات أبرزها:

1- استحالة التفاعل والتعايش السلمي بين الثقافات والحضارات:

حيث تجسد هذه النظرية الهيمنة وتكرس انتصار الحضارة الغربية، واستخدام القوة وتضع العقبات في طريق الحوار والتعايش الثقافي متجاهلة عن قصد أن التقاء الحضارات معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وأن المستقبل لحوار الحضارات، لا لتصادمها والمواجهة بينها، خاصة ونحن نعيش عصر المعلوماتية والذي من أهم سماته إلغاء الحواجز وتقريب المسافات بين البشر، فعصر العولمة «التفاعلات في نطاق الكوكب كله، بل عصر التخلي عن فكرة السيادة المطلقة، لكل دولة علي حدة»[1].

لم تسع الحضارة العربية الإسلامية، حتى وهي في أزهي عصور ازدهارها إلي التصادم مع غيرها فلقد كانت سمتها الأساسية التفاعل مع الحضارات الأخرى أخذًا وعطاءً، تأثرًا وتأثيرًا. حيث تفاعلت الحضارة العربية الإسلامية مع حضارات اليونان والفرس، والهند. فلم تقف «الحضارة العربية الإسلامية إزاء الآخر موقف العداء والمواجهة والشك، وإنما تعاملت معه برؤية حضارية قوامها أن اختلافه إثراء لتجربتها الإنسانية، حضارة وثقافة فتفاعلت معه وأعطته وأخذت منه، وتمثل ذلك في مزيج عبقري عبرت عنه في إنتاج علمي متميز»[2] فالتصادم يأتي من محاولة فرض القوة المادية علي الآخر وفرض أسلوبه ومنهجه.

2- زعمه بسيادة حضارة كونية واحدة:

يسعى الغرب وعلي رأسه الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة العالمية، بالعولمة أحيانا،

(1) محمد سيد أحمد، تصاعد الإرهاب وصدام الحضارات، مجلة العربي، تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد (518-2002) ص 154-155.

(2) نبيل غزلان، بين الكوكبية والدفاع عن الهوية، العرب والآخر، مجلة العربي تصدر عن وزارة الإعلام في دولة الكويت، العدد (516-2001) ص 29.

وبإستخدام القوة العسكرية أحيانا، وبالسيطرة الاقتصادية أحيانا أخري، وهي بهذا لاتسعي للحوار، وإنما لفرض نمط معين من الاقتصاد والسياسة والفكر والثقافة علي العالم أجمع، فهي تستخدم كافة وسائل الإكراه في فرض هيمنتها ورؤيتها ومصالحها فلايمكن لأي حضارة أن تسود بالقوة، لأن الحضارة في الأصل حضور، والحضور لايكون بالقوة والعنف وإنما يتم بالحوار والإقناع، وهذا ما لم يوجد في أطروحة «صدام الحضارات» التي تفترض تصادم الحضارات بالضرورة، وهذا الافتراض يلغي إمكانية سيادة حضارة كونية.

لقد سادت العالم حضارات كونية، مثل الحضارة الصينية، والحضارة البابلية، والحضارة الرومانية، والحضارة العربية الإسلامية وغيرها من الحضارات، وكانت السيادة لا تعني استخدام القوة والعنف، وإنما جاءت السيادة من كونها تعايشت مع حضارات أخري، ولم تتجه للتصادم مع الأمم والحضارات، بل تتجه الأمم والحضارات المغلوبة أيضا للتفاعل والتلاقح مع الحضارة المنتصرة إلي أن تصل إلي مركز السيادة، ففي كل حقبة من حقب التاريخ تزدهر حضارة وتسود العالم، فعندما أزدهرت الحضارة العربية الإسلامية، وهزمت إمبراطوريات الروم والفرس، سادت العالم، وانفتحت علي الحضارات الأخري. وعندما كانت أوروبا تعيش عصورها المظلمة كان طلابها يأتون إلي المدارس الإسلامية في الأندلس وبغداد، ينهلون منها العلوم المختلفة، حيث استيقظت بفضل الحضارة العربية الإسلامية، وأصبحت الحضارة الغربية هي الرائدة، فعلي مدي عصور التاريخ «توجد حضارة مركزية مزدهرة وتحاول النهوض .... حيث تبقي القضية هي قدرة الحضارات القديمة علي تطوير نفسها وفقًا لشروطها الخاصة»[1]. وهذا عكس ماتطرحه نظرية «صدام الحضارات» التي تؤكد الغلبة لعوامل التنافر والتضاد.

3- اختلاف المعايير في تصنيفه للحضارات:

لقد اتخذ «**هنتنجتون**» معايير غير متناسقة في تصنيفه للحضارات، فهو لم يستخدم الديانة

(1) سليمان العسكري، ماذا يتبقي من نظرية صدام الحضارات؟ مجلة العرب تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد (518-2002)، ص 13.

كمعيار للتصنيف إلا عندما جاء علي ذكر الحضارة الإسلامية، فالحضارة الغربية نسبة إلي الغرب، وهو مجال جغرافي، والكونفوشسية نسبة إلي حكيم الصين كونفوشيوس، واليابانية نسبة إلي اليابان، والهندية كذلك نسبة إلي بلاد الهند، والسلافية والأرثوذكسية نسبة إلي قارة أيضا، فاختيار معايير مختلفة للتمييز بين الحضارات يعتبر تناقضا وإخلالًا بالمنهجية العلمية التي يتطلب ضرورة توافرها في مثل هذه الموضوعات، فإذا استخدمنا الدين كمعيار سيكون لدينا الحضارات التالية: الحضارة اليهودية، والحضارة المسيحية، والحضارة الإسلامية، والحضارة البوذية[1]. وهذا الإختلاف في عملية التصنيف يدل علي غياب الموضوعية عن هذه النظرية، لأنها تحمل فكرة تعبوية مستندة إلى أسس عنصرية، مفتقدة لأي مبررات أخلاقية وموضوعية حيث اقحمت الصدام باعتباره ضرورة حتمية بين الغرب والإسلام الذي اعتبرته العدو الذي يشكل الخطر الأكبر علي الحضارة الغربية، وفسرت التاريخ ومراحله المختلفة وفقا لأهواء خاصة، ولمصلحة الغرب، وجعلت للإسلام حدودًا دامية. فالإسلام ولع بالعنف منذ ظهوره، والقرون الماضية في التاريخ الإسلامي كلها صراع وعنف مع أطرافه الخارجية وبين أجزائه الداخلية، وحتي يقنعنا «هنتنجتون» بأن المسلمين يتحدون الغرب اختار أدلة وأمثلة وأحداثًا من هنا وهناك بطريقة انتقائية وفسرها بطريقة تتلاءم مع نتائج مسبقة، ما جعل أفكاره تتكرر، وتحليلاته تتناقض»[2].

لقد تجاهل «هنتنجتون» حقيقة موضوعية وهي أن الإسلام يحض علي الحوار والتفاهم والتعارف، والتعايش السلمي، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125].

ومن خلال طرح المرتكزات الأساسية التي ارتكزت عليها نظرية (صدام الحضارات) يبدو واضحًا أن حوار الحضارات هو السبيل نحو نظام عالمي جديد يسوده الأمن والاستقرار والتسامح والتعاون، فالحوار هو طريق الحضارة ويقوم على الاعتراف بالآخر واحترامه كإنسان له الحق في إبداء آرئه، والحضارة التي لاينتشر في ربوعها السلام والأمن والأمان، فهي ليست

(1) صموئيل هنتنجون، صدام الحضارات، (م. س) ص 15.
(2) المرجع السابق، ص 61.

حضارة وإنما هي تقدم مادي يحمل بداخله التدمير والشر والفناء «فحوار الحضارات وليس الصراع في مابينها هو الطريق الوحيد لبناء فضاء حضاري يؤسس فعلًا لنظام عالمي جديد»[1]. الحوارالحضاري يعني التلاقح والتفاعل، والغرب لم يصنع حضارته بنفسه ـ كما يدعي ـ وأن أصول حضارته غربية وليست شرقية، حيث يقول روجيه جارودي «إن ما اصطلح الباحثون علي تسميته باسم (الغرب) إنما ولد فيما بين النهرين، وفي مصر، أي في آسيا وأفريقيا»[2] وكما أن الغرب القديم (أي اليونان) قد ولد في أحضان حضارات الشرق القديم، فإن الغرب الحديث قد ولد عبر نقل نهضة شاملة صنعها العرب والصينيون في العصر الوسيط[3].

ولا شك أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو حوار الحضارات، فالإسلام كدين وحضارة يريد العالم «منتدى حضارات» ويقبل مبدأ المبادرة السلمية ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: 208] ولكن الغرب الآن يفرض هذا المنهج، وسمح لنفسه التدخل في أسلوب حياة مجتمعاتنا ومناهجنا التعليمية وخطابنا الديني. وهذا مايشكل لب الأزمة الحضارية الراهنة، فلايمكن للحضارة الغربية أن تتجاوز أزمتها ولايمكن للعالم الثالث أن يتجاوز وضعه الراهن إلا بالحوار الحضاري، فالحضارة الغربية تعاني من أزمة ستقودها إلي الفناء، ونجاة الغرب من هذا الفناء المحقق لايمكن تجاوزه إلا بالقضاء علي التصور التسلطي في الثقافة الغربية، والاستعاضة عنه بتصور (سيمفوني) يتطلع فيه الغرب بأسئلته، وبحلول لمشكلاته إلي حكمة العالم اللاغربي، وقد أصبحت المشكلات تطرح الآن علي المستوي العالمي، ولايمكن أن تحل إلا علي هذا المستوي العالمي. وذلك بالانخراط في حوار حضارات مع الثقافات غير الغربية.[4]

لقد آن الآوان للعرب أن يستفيقوا من سباتهم العميق، من خلافاتهم الإقليمية والمذهبية، وأن يعيدوا دورهم في بناء الحضارة الكونية الشاملة من موقع الفاعل المؤثر في العالم حيث

(1) مسعود ظاهر، العرب والغرب، تاريخ العلاقات المشوهة، (م. س) ص 144.
(2) روجيه جارودي، حوار الحضارات ط2، ترجمة عادل العوا، دارعويدات ـ بيروت. 1982، ص 17.
(3) المرجع السابق، ص 37.
(4) المرجع السابق ص 93.

تفاعل المسلمون الأوائل في صدر الإسلام مع الحضارات الأخري فكانوا فاعلين وشركاء في صنع الحضارات الإنسانية، وسادة الإبداع العلمي والتفكير العقلي، والتسامح الديني، وليسوا مستهلكين لثقافات الآخرين.

النتائج والتوصيات

1. علي الثقافة العربية أن تلعب دورها المهم في مواجهة تحديات العصر، ليس برفض الآخر، بل بالتحاور معه، وذلك بالتأسيس لثقافة التعامل والتفاعل، لمواكبة تطورات العصر، ومن أجل الوصول بالحوار إلي غايته المنشودة يجب أن يتغلب التيار العقلاني في العالم العربي الإسلامي علي التيار المتطرف والمخطئ في فهمه لرسالة الإسلام السمحة، والانطلاق من القيم الإنسانية المشتركة لبناء جسور التفاهم بين الأمم والشعوب، ولايتم ذلك إلا بالنقد الذاتي أولًا الذي يؤسس لثقافة الحوار مع الآخر.
2. نحن اليوم أمام تحد كبير لمواجهة إعادات (هنتنجتون) في نظريته «صدام الحضارات» ويجب أن نتجاوز أسلوب التهديد والاستنكار بوضع خطط تنموية وسياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية، يمكننا بها مواجهة تحديات العصر، ويجب أن يكون تحدي العولمة حافزًا للعرب والمسلمين ليستفيقوا من سباتهم ويتركوا جانبا خلافاتهم وصراعاتهم الإقليمية ليكونوا قادرين علي إثبات وجودهم وفرض سيادتهم في المحافل الدولية وخاصة هيأة الأمم المتحدة والأجهزة التابعة لها، وبوجه خاص مجلس الأمن الدولي، وفرض السيادة لايتم إلا بالإصرار علي ضرورة تعديل مثياق هيأة الأمم المتحدة الحالي بميثاق قائم علي الحوار والاحترام المتبادل.
3. إن مواجهة تحديات العصر ليست بالاستعلاء، أو التطرف أو العنف وإنما تكون المواجهة بالأسلوب الإنساني، خاصة وأن ديننا الإسلامي يدعو إلي التعايش السلمي والتسامح الديني، وهذا لايعني الخنوع والاستسلام وإنما يكون ذلك في إطار محددات ومتغيرات العصر، ويجب أن تكون العلاقة علاقة تكافؤ، وأن نلمس من الآخر رغبته في الحوار من

خلال تحليل لغة الخطاب تجاه العرب والمسلمين ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

4. تعزيز ثقافة حوار الحضارات، وذلك باستخدام لغة العصر وآلياته، وتفعيل دور المؤسسات والهيئات، والمنظمات الرسمية وغير الرسمية، واستخدام وسائل التقنية المتطورة والاستفادة منها لنشر ثقافة حوار الحضارات، وبيان موقف الإسلام من التعايش السلمي بين الحضارات.

5. احترام الاختلاف والتنوع الثقافي، وذلك عن طريق تفعيل الأسس والقيم الإنسانية المشتركة بين الحضارات، والانطلاق منها لتحديد أسس ومرجعية تكون مقبولة لدي الجميع، وتؤسس لحوار قائم علي التواصل المستمر يسهم في بناء الثقة بين الأطراف المتحاورة.